مطاردة حتى النهاية

محمود سالم

مطاردة حتى النهاية

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

مطاردة حتى النهاية

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ونسدور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٢ ٢٦٥٥ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٣.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
ملفٌّ أصفر ... وشريطٌ أحمر!	١١
من سويسرا إلى كندا	١٥
مقدِّمات مغامرة	١٩
مفاجآت ... مفاجآت!	٢٣
بداية معركة	٢٧
هجوم ... وهجومٌ مضاد!	٣١
السر الخطير!	٣٥
نهاية البداية	٣٩

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

ملفٌّ أصفر ... وشريطٌ أحمر!

انتهى «أحمد» من تدريباته الرياضية، وتناول وجبةً خفيفة ثم عاد إلى غرفته. كان يقرأ في كتاب عن الجاسوسية المضادَّة ... شدَّ انتباهه، فاعتذر عن تمضية السهرة مع بقية الشياطين، وعاد لاستكمال قراءة الكتاب.

عندما دخل الغرفة لفت انتباهَه مظروفٌ أصفر موضوع على مكتبه الصغير. كان محزومًا بشريطٍ أحمر عريض، مكتوبٍ عليه بالحبر الأسود «محظور»، ثم بخطٍّ أصفر لا يُفتح إلا بمعرفة رقم «١»، وأحمد هو رقم «١» في مجموعة الشياطين الـ «١٣».

وفكَّر قليلًا، كنوعٍ من التدريب الذهني، في محاولة معرفة محتويات المظروف ... إنه في الأغلب عمليةٌ خاصة ربما سيقوم بها وحده، والمطلوب ألا يُثيرَ الموضوعَ في اجتماعٍ عام مع رقم «صفر»، كما هي العادة في مثل هذه الموضوعات، ثم إن كلمة محظور تعني أسرارًا على درجةٍ كبيرة من الأهمية.

ولم يستمر في الاستنتاج أكثر ... كانت رغبة المعرفة قد استبدَّت به تمامًا، فمد يده وفتح المظروف ... كانت به مجموعةٌ من الأوراق وشريطٌ مسجَّل، وفوقها جميعًا ورقةٌ مكتوب عليها هذه التعليمات:

(١) اقرأ هذه الأوراق بدقة.
(٢) حاول أن تحفظ المعلومات والأرقام التي بها.
(٣) استمِع إلى الشريط ولاحِظْ نبراتِ المتحدث فيه.
(٤) كن جاهزًا للسفر في موعدٍ أقصاه مساء الغد.

وبدأ «أحمد» يقلِّب الأوراق التي في المظروف ... كان أوَّلَها تقرير، ثم مجموعة من الصور، وشريطٌ مسجَّل، وملفٌّ صغير، به مجموعة من الأوراق أصغر حجمًا من بقية الأوراق.

وبدأ في قراءة التقرير الذي كان عنوانه: «مطلوب القبض عليه حيًّا أو ميتًا».

ثم العنوان التالي: «عضوٌ سابق في منظمة الشياطين الـ «١٣» ينضم إلى جهةٍ معادية».

وأحَسَّ «أحمد» بتوتُّرٍ مفاجئ ... فهذه أول مرة يخرج فيها واحدٌ من المؤسسة وينضم إلى عدوٍّ لها. وكانت مفاجأة لـ «أحمد» أن يقرأ اسم الرجل ... لقد كان من أوائل الذين أسَّسوا مجموعة الشياطين الـ «١٣»، ثم اختلف مع رقم «صفر»، ومضت سنواتٌ طويلة لم يسمع عنه أحد.

وأخذ «أحمد» يقرأ المعلومات:

الاسم: عوني مسعود.

السن: من مواليد ١ / ١ / ١٩٣٣م.

الطول: ١٨٠ سنتيمترًا، الوزن: ٩٠ كيلوجرامًا.

مواهبه: مدرَّبٌ تدريبًا راقيًا على كل أعمال وطرق القتال والدفاع بالمنظَّمة.

وتوقَّف «أحمد» عن القراءة لحظات، وأخذ يفكِّر ويتذكَّر ... لقد كان «عوني» من أول الأساتذة الذين درَّسوا له في مقر الشياطين الـ «١٣»، عندما كان مجرد مجموعة من الثكنات ... ولم يكن قد بُني بعدُ على أحدث طراز، وتوفَّرَت فيه أحدث آلات التكنولوجيا بجميع أنواعها تقريبًا ... ثم اختفى الرجل، بعد أن قضى نحو ستة شهور يعلِّم الشياطين الضرب بالأسلحة الصغيرة؛ الطبنجة، والبندقية. وسمع الشياطين أنه اختلف مع رقم «صفر»، وترك العمل، وعاد إلى الدولة التي قَدِم منها.

وقد كان للشياطين ولرئاسة المنظمة قَسَم أقسموا عليه جميعًا؛ أنهم مهما اختلفوا أو تركوا العمل، فلن ينضموا إلى أية جهةٍ معادية ... فهل حنث «عوني» في قَسمه؟ هل تجاهل أم نسي أن هذا القسَم إذا حنث به فسيُصبح جزاؤه الموت؟!

وعاد «أحمد» يقرأ ... لقد بدأ الكشف عن شخصية «عوني» في سويسرا، بواسطة عميلنا السري «كراون»، وهو اسم مستعار للرجل الذي يرأس عملاءنا جميعًا في وسط أوروبا؛ فقد لاحظ «كراون» أن أحد عملائنا من شعبة جمع المعلومات، قد أُصيب في حادث سيارة، وقد رجَّح رجال الشرطة في سويسرا، أن السيارة التي صدَمَته، كانت تتعمَّد ذلك،

وأن من فيها حاولوا حمله بعد الإصابة بدعوى نقله إلى المستشفى ... ولكنَّ تدخُّل رجال الشرطة منعهم ... وقد استطاعوا الفِرار في الظلام.

وقد عثَر رجال الشرطة في مكان الحادث، على نسخة من جريدة تصدُر في إحدى العواصم العربية، ووجدوا علامةً بالقلم الجاف على سطور في صفحة الوفيات ... وقد استطاع «كراون» أن يحصل على هذه الصحيفة ... وعندما قرأ اسم المتوفَّى وجده من أُسرة «عوني مسعود» ... وفي البداية اعتبرناها مجرد مصادفة، ولكن بعد ذلك بقليلٍ استطاع «كراون» أن يعرف من أحد أصدقائه من رجال البنوك، أن مبلغًا ضخمًا من المال قد وُضع في بنك «كريدي دي سويس»، باسمِ «عوني مسعود» ... وهكذا بدأنا نبحث عنه، وقد استطاع رجالنا أن يُحدِّدوا مكانه.

إنه يعيش في قرية تُدعى «نيون»، على مسافة نحو أربعين كيلومترًا من جنيف ... وفي نفس الوقت يتردَّد يوميًّا مريض في مصحة «جونولييه» وقد عرفنا أن المريض هو «سيرج كول»، وهو أحد الأعضاء البارزين في عصابة «سادة العالم» التي حاولَت، وما زالت تحاول القضاء على منظمة الشياطين الـ «١٣» ... وقد طلبنا من رجالنا الاستمرار في جمع المعلومات قبل أن نُقرِّر تصفية «عوني» ولكنه اختفى تمامًا لمدة شهر ... ثم ظهر مرةً أخرى في مدينة «لوزان»، لعدة أيام ثم اختفى مرةً أخرى، وقد تأكَّد رجالنا أنه لم يعبُر الحدود السويسرية إلى دولةٍ أخرى، ومعنى ذلك أنه ما زال هناك ... ولهذا فنحن نريدك أن تذهب وحدك أولًا، وسيقابلك «كراون» ويعرض عليك مقترحاته لمطاردة «عوني»، والتأكُّد من أنه انضم إلى عصابة «سادة العالم» ... ولا تتخذ قرارًا بتصفيته قبل أن تتأكد تمامًا من كل المعلومات.

وطوى «أحمد» الأوراق وجلس ساكنًا، ثم وضع شريط التسجيل في ريكوردر، وأخذ يتسمَّع إلى صوت «عوني»، ورغم مرور سنوات على آخر مرة سَمِعه فيها، فقد عرف صوته على الفور. كانت بقية الأوراق عبارةً عن مجموعة من الصور لـ «عوني» من زوايا مختلفة ... وقد أحس «أحمد» بالألم؛ لأن كلمة تصفية تعني في قاموس العمل (القتل)، وليس من سياسة ولا أخلاقيات الشياطين الـ «١٣» القتل، مهما كانت الأسباب ... إلا في حالة الدفاع عن النفس.

تمدَّد «أحمد» في فراشه وسرح بفكره ... إنه يواجه عصابة «سادة العالم»، ومعها رجلٌ يعرفه جيدًا هو «عوني» ... وهو خصمٌ لا يُستهان به؛ فهو أستاذٌ سابق في منظَّمة الشياطين ... وهو يعرف نوع الشبان الذين سيتعامل معهم ويواجههم في معارك الحياة والموت.

ورغم أن الشياطين قد ذهبوا إلى سويسرا من قبلُ، إلا أنه ضغط على مفتاحٍ خاص، ليحصل على معلوماتٍ أكثر، وعندما سمع صوتًا يقول نعم، قال: من فضلك أريد خريطة، وأكبر قَدْرٍ من المعلومات عن سويسرا.

ردَّ الصوت: ستكون الخريطة والمعلومات جاهزةً خلال عشر دقائق.

وعاد إلى تفكيره ... لم يكن موافقًا على السفر وحده إلى سويسرا ... صحيح هناك «كراون»، وبقية أعوان رقم «صفر» ولكن «أحمد» لا يستطيع الاطمئنان إلى أحدٍ سوى الشياطين الـ «١٣» ... كان يريد أن يناقش رقم «صفر» في هذا القرار ... ولكنه فضَّل أولًا أن يقرأ كل المعلومات التي عنده مرةً أخرى، ثم يقرِّر إذا كان من الممكن الاستعانة بأحد الشياطين أم لا.

وبعد عشر دقائق بالضبط سمع دقةً على الباب، ثم امتدت إليه يدٌ بأحد الملفات، وبمظروف ... ثم أغلق الباب وفتح الملف وأخذ يقرأ.

من سويسرا إلى كندا

لم يكَد «أحمد» يبدأ في قراءة الملف، ويفرد الخرائط أمامه، حتى جاءت مكالمةٌ سريعة من قسم المعلومات في المقر السري ... كان نص الرسالة كالآتي: اتصل بنا رقم «صفر»، وهو يُخطِرك أن الرجل قد ظهر في «كندا» ... لقد استطاع عبور الحدود السويسرية، إلى جنوب فرنسا، عند «دوفيل» ... حيث ترك جواز سفره عند بوابة الدخول بدعوى أنه سيسهر في كازينو «دوفيل» ثم يعود ... ولكنه لم يعُد ... ثم ظهر بعد نحو ١٥ ساعة في جزيرةٍ صغيرةٍ تُدعى «كودياك» ... وقد كان في طائرةٍ صغيرةٍ سقطَت به هو وثلاثة رجالٍ آخرين ... وقد نُشرَت صورته في إحدى الجرائد، وتعرَّفنا عليه ... إن الفرصة كما يقول رقم «صفر» متاحة الآن ... فالرجل مصاب، والجزيرة صغيرة تواجه الشاطئ الغربي في «ألاسكا».

ابتسم «أحمد» رغمًا عنه؛ فهو يعرف «عوني» جيدًا ... إنه مقاتلٌ عنيد، ورجلٌ داهية ... تسرَّب من سويسرا رغم أعوان رقم «صفر» المنتشرين هناك، واستطاع أن يصل إلى «ألاسكا» ... وكان من الممكن أن يختفي عن العيون لولا حادث الطائرة.

نام «أحمد» نومًا عميقًا حتى السابعة من صباح اليوم التالي ... وبعد نصف ساعة كان يتحدث إلى رقم «صفر» قائلًا: إن المعلومات الجديدة تُحتِّم تغيير الخطة!

ردَّ رقم «صفر»: ما رأيك أن تأخذوا طائرة خاصة إلى «كودياك»؟ ... إن ذهابكم بخطوط الطيران العادية سيجعل وصولكم إلى جزيرة «كودياك» متأخرًا جدًّا، وسوف تسافرون إلى شرق «كندا» ثم إلى غربها ثم تركبون المواصلات والسيارات إلى أيسلندا ... إنكم جميعًا مدرَّبون على قيادة الطائرات، ومن الأفضل أن تأخذوا طائرةً إلى هناك!

أحمد: إن هذا يسعدنا جدًّا!

رقم «صفر»: سأُصدر تعليماتي إلى قسم التشهيلات بإعداد طائرة من طراز «جيت ستار» ... ذات الأربعة توربينات ... إنها طائرةٌ صغيرة ولكنها قويةٌ جدًّا، وسوف يدبِّر لكم قسم التشهيلات خط السير وأوامر المرور!

أحمد: شكرًا يا سيدي!

رقم «صفر»: يجب أن تُلاحِظوا أن الأحوال الجوية في هذه المناطق البعيدة الباردة سيئ، فأعدُّوا أنفسكم لمفاجآتٍ غير متوقَّعة!

أحمد: متى نبدأ؟

رقم «صفر»: أعتقد أن الطائرة ستكون جاهزةً خلال الساعات الخمس القادمة ... اعقد اجتماعًا مع المجموعة ... إن الطائرة تتسع لتسعة أفراد، ومتروكٌ لك حرية أخذ العدد المناسب معك!

أحمد: وسأدرس الموقع والظروف خلال الساعات القادمة.

رقم «صفر»: خذوا حذركم ... وبالتوفيق إن شاء الله!

اتصل «أحمد» بالشياطين، وتقرَّر عقد اجتماع في القاعة الزرقاء رقم ٣ بعد ساعة، وفي الموعد المحدَّد كان الشياطين الـ «١٣» جميعًا في قاعة الاجتماعات، وكانت خريطة «كندا» و«ألاسكا» مضاءة على الحائط، وقد ظَهرَت كبيرة ومترامية الأطراف ... وبدت جزيرة «كودياك» كأنها نقطةٌ صغيرة تحت شبه جزيرة «ألاسكا».

وبسرعة قال «أحمد»: صباح الخير، أمامنا مهمةٌ خطيرة في مكانٍ بعيد، وسوف نسافر في طائرةٍ خاصة، نتولى قيادتها بأنفسنا إلى شمال كندا ... إن هناك رجلًا هامًّا يجب القضاء عليه ... إنه يهدِّد منظمة الشياطين الـ «١٣»، وقد انضم إلى عصابة «سادة العالم»!

بدأَت الدهشة تغزو وجوه الشياطين ... وكان السؤال الواضح على وجوههم جميعًا هو: مَن يكون هذا الشخص الخطر، الذي يهدِّدهم إلى هذا الحد؟!

وقال «أحمد» كأنه يجيب على السؤال: إن الرجل الذي أقصده كان من أفراد المنظَّمة ... أكثر من هذا كان من قادة المنظمة!

وازدادت دهشة الشياطين، ولكن «أحمد» طمأنهم قائلًا: «على كل حالٍ ... إن معلوماته عنا قديمة ... فقد ترك المنظمة بعد البداية بقليل ... وبعضنا يعرفه ... وسوف تكون المعلومات أمامكم كاملة ونحن في الطائرة إلى «كندا»!

عثمان: كم عدد المسافرين؟

أحمد: إن الطائرة تتسع لتسعة أشخاص!

عثمان: ولكنَّ عددًا منا في دورياتٍ تدريبية!

أحمد: إذن لن تأخذ هذا العدد، يكفي خمسة ... فعندي فكرة الاستعانة بالكلاب البوليسية في هذه المغامرة!

إلهام: إنني أؤيد ذلك!

بو عمير: لقد زرتُ قسم الكلاب البوليسية، وهناك مجموعةٌ ممتازة من هذه الكلاب يمكن الاستعانة بها!

أحمد: إننا نحتاج لكلابٍ من نوعٍ خاص، تكون من النوع الذي يعيش في المناطق الثلجية!

بو عمير: عندهم فصيلةٌ كاملة من الكلاب القطبية، وقد هيَّئوا لها المُناخ الملائم؛ بحيث تستطيع الحياة في هذه المنطقة الصحراوية!

أحمد: إذن اذهب أنت، واختر كلبَين للسفر معنا!

بو عمير: معنى ذلك أنني مسافر معك؟!

أحمد: نعم ... سنسافر خمسة ... ومعنا الكلبان!

ثم عاد «أحمد» يقول: من الأفضل أن يبقى «عثمان» هذه المرة حتى يستكمل تدريبات الكومبيوتر، وسآخذ معي «إلهام» و«زبيدة» و«بو عمير» و«فهد»!

فهد: متى نسافر؟

أحمد: بعد ساعاتٍ قليلة ... إن قسم التشهيلات سيقوم بإعداد خط السير، والحصول على التصاريح اللازمة ... إن الطائرة التي سنسافر عليها سبق أن تدرَّبنا على قيادتها، وهي من طراز «جيت ستار»، وتتسع لتسعة مسافرين، ولها تجهيزاتٌ خاصة بالتسليح لا يمكن كشفها ... وهي تطير بمسافة خمس ساعات متصلة، ثم تحتاج إلى إعادة ملئها بالوقود ... ولكني سأطلب من الورشة أن تُزوِّدها بخزاناتٍ إضافية؛ فسوف نطير في مسافاتٍ شاسعة!

عثمان: إنني أقترح تكوين فرقةٍ إضافيةٍ تلحق بكم عند الحاجة!

أحمد: أوافق؛ وأترك لك حرية التصرف!

وانفض الاجتماع، ودخل «أحمد» إلى أحد المكاتب، وأخذ يُجري اتصالاته بقسم التشهيلات والورشة وغيرها من أجل إعداد كل شيء، خاصة الملابس والأسلحة التي سيحملها الشياطين معهم، ولم ينسَ أن يطلب من الورشة إضافة إطاراتٍ خاصة بالهبوط على الجليد؛ فمن المتوقَّع في هذه الأصقاع الباردة، أن تكون المطارات الصغيرة هناك مغطَّاة بالجليد، وليس بها الأجهزة الخاصة بإذابته كما في المطارات العالمية.

في الموعد المحدَّد ظهر «بو عمير» ومعه كلبان؛ أحدهما فضي اللون، والآخر أصفر فاتح ... وقد وقفا كأنهما على استعداد لمعركة، قرب مدرج الطائرة الصغيرة ... وظهر في نفس الوقت كلٌّ من «فهد»، و«إلهام» و«زبيدة» وقد ارتدَوا ملابسَ ثقيلةً تُناسِب جوَّ الشتاء.

أخذ «أحمد» يتأمل الكلبَين بجوار الطائرة، ثم صاح يا «بو عمير»: ما هو اسم كلٍّ منهما؟

بو عمير: الكلب الأبيض اسمه «فضة»، وهي أنثى، والثاني اسمه «ذهب»!

أحمد: شيءٌ ظريف «ذهب» و«فضة»!

بو عمير: إنني أريد أن أُطلِق اسمًا على الطائرة أيضًا!

قالت «زبيدة» على الفور: عندما شاهدتُها أحسستُ أنني أمام ضفدعة؛ لهذا سمَّيتُها الضفدعة!

ضحك «أحمد» وشاركه بقية الشياطين الضحك؛ فقد كانت بداية الرحلة حافلةً بالمرح.

كان «أحمد» و«بو عمير» يرتديان ثياب الطيارين، فقفزا إلى مقعدَي القيادة ... كان «أحمد» يتولى القيادة ويساعده «بو عمير» ... وأمامهما العدَّادات الكثيرة التي بدأَت تُضيء عندما ضغط أحمد على مفتاح التشغيل، أخذ «أحمد» يتحدَّث في الميكروفون، ثم يستمع إلى تقريرٍ عن سرعة الرياح، واتجاهها، وبقية التعليمات الخاصة بالإقلاع.

مقدِّمات مغامرة

ببراعةٍ كاملة نقل «أحمد» الطائرة من شيءٍ يسير على عَجَلات فوق الأرض، إلى طائرٍ يحلِّق في السماء ... وأبدى الشياطين إعجابهم بالزميل البارع، عندما أخذَت الطائرة ترتفع للوصول إلى ارتفاع ٢٧ قدمًا، وبهذا تكون قد وصلَت إلى الارتفاع المطلوب ... وانطفأَت إشارة ربط الأحزمة ... وبدأَت «إلهام» تقوم بدور المضيفة الجوية البارعة، فقدَّمَت شرابًا منعشًا، وعرضَت قائمةَ طعامٍ حافلة.

وأخذ الشياطين يتبادلون حديثًا ضاحكًا استمر بعض الوقت ... ثم ساد الصمت، وانصرف كلٌّ منهم إلى خواطره ... بينما جلس الكلبان «دهب» و«فضة»، هادئَين، وقد أخذ «بو عمير» يداعبهما في محبة، بعد أن قدَّم لهما وجبةً ساخنة.

كانت خطوتهم الأولى هي «جنيف»، والطيران إليها يستغرق نحو أربعة ساعات ونصف، ثم بعد ذلك إلى «باريس»، ثم «لندن»، ومنها تكون القفزة الواسعة عَبْر المحيط إلى «أوتاوا» في كندا ... ثم عبور كندا والنزول في شبه جزيرة «سيورد»، وعبور القنال بين «سيورد» و«كودياك» حسب الظروف ... بالطائرة أو في قارب.

كانت رحلةً طويلةً ومجهدة ... ولكن نظرًا لحجم الطائرة لم يكن في إمكانهم اختصار محطات الوقوف ... فهذه الطائرة تحمل وقودًا يكفيها خمس ساعات فقط، وعليهم أن يقسموا مشوارهم الطويل إلى محطات ... وقد أشرفوا على نهاية الرحلة في مساء يومٍ غائم، وأخذَت الطائرة الصغيرة التي أجهدها الطيران المتصل تحلِّق فوق أرضٍ تغطِّيها الثلوج، وقد بدا كل شيء ناصع البياض ... وقد صدرَت إليهم تعليمات مطار «سيورد» الصغير بالهبوط ... ولم تكَد عَجلات الطائرة تلمس أرض المطار، حتى أحس «أحمد» أن الطائرة تنزلق بسرعة على الجليد السميك، وأخذ يستخدم الفرامل على دفعات، حتى لا تنقلب الطائرة ... وأخيرًا وقفَت «الضفدعة» وهو الاسم الذي أطلقَته «زبيدة» على الطائرة، ساكنةً

على أرض المطار الصغير ... وظهر رجلٌ من المبنى الوحيد في المطار، يُلوِّح لهم في الظلام الذي بدأ يهبط بفانوسٍ صغير.

نزل الشياطين الخمسة، ومعهم الكلبان يقودهما «بو عمير» وكان الجو شديد البرودة، وتحدَّثَت «إلهام» إلى الرجل وطلبَت منه أن يدُلَّهم على مكانٍ يقضون فيه الليل، فأجاب ليست هناك فنادق بالمعنى المعروف عندكم ... هنا تُوجد بعض الأكواخ التي يؤجِّرها الصيادون!

إلهام: هذا يناسبنا جدًّا.

الرجل: كم يومًا سوف تقضونها هنا؟

إلهام: هذا متروك للظروف.

ساروا خلف الرجل حتى دخلوا المبنى الصغير للمطار، وكان الرجل كريمًا معهم ... فقال لهم بعد أن قدَّم لهم نفسه باسم «بيرد»: هل تشربون كوبًا من القهوة الساخنة؟

ردَّت «إلهام» نيابةً عن الشياطين: بكل سرور.

وكان هناك إناءٌ على النار يتصاعد منه البخار، فأخذ الرجل يصُبُّ الماء الساخن على مسحوق القهوة، وأخذ الشياطين يشربون ويتحدثون مع الرجل.

سأله «أحمد»: هل سمعتَ عن حادث الطائرة الذي وقع في جزيرة «كودياك»؟

بيرد: نعم ... ولكن الحمد لله لم يمُت أحد؟

أحمد: كم كان عدد ركَّاب الطائرة؟

بيرد: سبعة أشخاص!

أحمد: هل هم مقيمون في الجزيرة، أم أتَوا للزيارة؟

بيرد: إنهم يملكون مصنعًا هناك، محاطًا بحراسةٍ قوية، ويُقال إنه يستخلص اليورانيوم من رمال الشاطئ!

نظر الشياطين بعضهم لبعض، لقد كانت معلومات على جانبٍ كبير من الأهمية.

وعاد «أحمد» يسأل: كيف الوصول من هنا إلى جزيرة «كودياك»؟

بيرد: بالقوارب ... وليست هناك رحلاتٌ منتظمة، ولكن من يريد الذهاب يستأجر قاربًا!

أحمد: هل يمكن أن تدبِّر لنا قاربًا الليلة؟

بدت الدهشة على وجه الرجل، ولكنه هزَّ رأسه قائلًا: لن تجدوا بحَّارًا واحدًا يقبل الخروج بقارب في هذا الليل البارد.

أحمد: لن نحتاج البحار، كل ما نريده هو القارب!

فهم الشياطين لماذا يريد «أحمد» القارب ليلًا ... فليس من المعقول أن يبدأ المغامرة بالذهاب إلى «كودياك» في ضوء النهار!

وأخذ الرجل يُجري بعض الاتصالات التليفونية، وبعد حديثٍ قصير التفت إلى «أحمد» وقال: هناك قارب، ولكن لا بد أن تدفعوا تأمينًا خوفًا من أن يحدث شيءٌ غير متوقَّع.

أحمد: لا مانع ... متى يكون جاهزًا؟

الرجل: بعد ساعتَين ... واسم القارب «النورس الأبيض» وهو قاربٌ متين، وصاحبه سوف يأتي بعد ساعة لأخذ النقود!

أحمد: سنحتاج إلى بعض الراحة ... وسنترك لك النقود لتُعطيَها له.

ثم دفع «أحمد» حساب الطلبات، ومنح الرجل بقشيشًا سخيًّا، وترك له أجر القارب والتأمين الذي طلبه.

قادهم الرجل إلى ثلاثة أكواخٍ متجاورة قرب الشاطئ. كانت الريح باردةً تعصف بشدة، فأسرعوا يحتمون بالجدران، وفتح لهم الرجل الأبواب فدخلوا ... وأَصَر «بو عمير» على أن يبقى مع «دهب» و«فضة» في كوخ واحد ... وذهب «أحمد» و«فهد» معًا ... و«إلهام» وزبيدة» معًا.

كان أثاث الأكواخ بسيطًا ولكنه مريح ... وقرَّر «أحمد» أن ينام ساعة كاملة؛ كان مرهقًا، وهكذا استلقى على الفور ونام ... بينما أخذ «فهد» يُعِد الأسلحة والمهمَّات الدقيقة التي سيأخذونها معهم في الرحلة الليلة.

بعد ساعتَين ... كان الشياطين الخمسة والكلبان «ذهب» و«فضة» في القارب ... كانت الرياح قوية، والأمواج عالية، ولكن السماء كانت صافيةً نسبيًّا، وهكذا أقلعوا، واتجه «أحمد» إلى اليسار ناحية جزيرة «كودياك» التي بدت بعد نحو ساعة كأنها وحشٌ خرافي يربض في مياه المحيط.

كلما اقترب «أحمد» من الجزيرة كان «بو عمير» يمسك بنظَّارةٍ مكبِّرةٍ محاولًا اختيار مكانٍ مناسبٍ للرُّسُو ... مكانٍ مهجور يكون محاطًا بالصخور حتى لا يراقبهم أحد ... ووجدوا المكان المناسب ... كان خليجًا صغيرًا منعزلًا عند طرف الجزيرة، وأدار «أحمد» القارب بمهارة وفي بطء وحذر حتى رسا على الشاطئ الصغير الذي كان يشبه فجوة في قلب الصخور.

قفز الشياطين إلى البر ... وأخذ «بو عمير» يتحدث إلى «دهب» و«فضة» حديثًا هادئًا، ثم غادروا الشاطئ وتوغَّلوا في الجزيرة ... ولكن لم تمضِ سوى دقائق حتى لاحظوا أضواءً

عموديةً تصعد من الأرض إلى السماء كأنها سيوفٌ ضخمة ... ثم تهبط لتدور حول نفسها كأنها مروحة!

لفتَت هذه الأضواء أنظار الشياطين ... فاتجهوا إليها حذرين ... كانت الجزيرة شبه مهجورة في هذه المنطقة، ولكن على مبعدة ظهرَت أضواءُ منازلَ متعددة.

كانت الساعة قد تجاوزَت منتصف الليل عندما اقتربوا من منطقة الأضواء، ولاحظوا مجموعة من المباني المستطيلة التي تشبه مباني المصانع، كانت أضواؤها تتناثر هنا وهناك والصمت يلُفُّ المكان.

قال «أحمد» هامسًا: سأصعد إلى شجرة من هذه الأشجار، لأرى بمنظارٍ مُكبَّر ماذا يجري هناك ... انكمش الشياطين والكلبان في مكان، ومشى «أحمد» قليلًا، ثم اختار شجرةَ صنَوبرٍ عالية وأخذ يصعد عليها، حتى وصل إلى أقصى ارتفاعٍ ممكن، واستند إلى بعض الأغصان، وأخرج نظَّارته المُكبَّرة المزوَّدة بالأشعة تحت الحمراء ووضعَها على عينَيه ونظر ... واستطاع أن يرى مجموعة المباني التي تفترش مساحةً واسعةً وقد أُحيطت بالأسلاك الشائكة ... وبالحُراس المسلَّحين.

مفاجآت ... مفاجآت!

لاحظ «أحمد» أن العمل في مجموعة المباني مستمر ليلًا، واستطاع أن يتأكد من أن القائمين على العمل هم مجموعة من «الروبوت» أو الإنسان الآلي ... ومعنى ذلك أنها صناعةٌ ضخمة، وأنها منظمة تنظيمًا دقيقًا.

وفي الجزء الشمالي من مجموعة المباني لاحظ وجود مجموعة من الفيلات الصغيرة، كانت مطفأة الأنوار، ما عدا واحدة، وأخذ يُفكِّر في الطريقة التي يمكن بها اختراق حاجز الأسوار، ثم الحراس، للوصول إلى الرجل الذي حضروا من أجله ... وأحس أنها مغامرةٌ صعبة، بل شديدة الصعوبة ... ونزل، وقدَّم تقريرًا موجزًا عن الموقف إلى الشياطين.

وعلَّق «فهد» قائلًا: إن الهجوم يجب أن يستهدف محطة الكهرباء لقطع التيار عن المباني، ويمكن أن نهاجم في الظلام.

زبيدة: إننا لم نقدِّر بعدُ عدد الحُراس ومستوى التسليح!

بو عمير: أهم من هذا كله ... هل الرجل الذي جئنا من أجله موجود أم لا! إن معلوماتنا ضئيلة جدًّا عن العملية.

إلهام: في إمكاننا تفجير المكان كله ... إن عندنا كميةً هائلة من الديناميت!

قال «أحمد» بعد لحظة صمت: سأدخل وحدي.

إلهام: لماذا؟

أحمد: كما قال «بو عمير» ... إن معلوماتنا عن المكان والأشخاص ضئيلة جدًّا، ومن الأفضل الحصول على معلومات أكثر ... ستعودون جميعًا إلى القارب في انتظاري.

فهد: ولماذا القارب؟

أحمد: إذا تأخَّرتُ في الحضور إليكم، ضع خطةً للهجوم أو العودة إلى الفيلا والهجوم غدًا ليلًا!

ثم أخذ «أحمد» بعض المعدات، ومسدَّسًا ضخمًا، وانسلَّ في هدوء دون انتظار كلمة أخرى.

أخذ يسير محاذرًا رغم الظلام حتى اقترب من سور الأسلاك الشائكة، كان عليه أن يتأكد أولًا أنها ليست أسلاكًا مكهربة، وأخرج مفكًّا صغيرًا يضيء أحد طرفَيه إذا كانت الأسلاك مكهربة، ولم يكَد يضع المفكَّ على الأسلاك حتى أضاء المفكُّ بشدة ... وأدرك أنه أمام أسلاكٍ مكهربة، ولم تكن هذه مشكلة.

اختار «أحمد» شجرة صنَوبر قريبة من السور تسلَّقها مسرعًا، واتجه إلى الطرف الأقرب إلى السور، وأمسك بغصنٍ طويل ثم تدلَّى منه فانثنى الغصن بشدة، وضرب جذع الشجرة بقدمه فابتعد كالنبلة عن الشجرة، وتجاوَز السور في الفضاء، ثم قفز داخل السور فسقط على الأرض محدثًا صوتًا مكتومًا.

ربض في مكانه دقائق يستمع ... لم يحدث شيء، فاتجه زاحفًا إلى الفيلا المضاءة، وكان أحد الحُراس في ملابسَ شبهِ عسكرية يقوم بالحراسة عند الطرف البعيد للفيلا، ووضع «أحمد» على وجهه قناعًا أسود، حتى بدا كتلة سوداء في الظلام لا يمكن رؤيتها.

كان حول الفيلا حديقة، ساعدَت على إخفاء تحرُّكات «أحمد»، الذي وصل إلى إحدى النوافذ، فجذب بعض الشجيرات حوله حتى تُخفي وجوده، ثم أخذ ينظر خلال الزجاج ... كانت الستائر مسدولةً من الداخل، ولكن من خلال فتحةٍ صغيرة استطاع أن يرى ما يحدث في الداخل.

كانت هناك مجموعة من الرجال، استطاع «أحمد» أن يعُدَّهم ... كانوا خمسة وكان أمامهم على المائدة التي جلسوا حولها شيءٌ ما، كانوا منهمكين في الإشارة إليه، ولاحظ «أحمد» أن ثلاثةً منهم يضعون ضماداتٍ على أيديهم، أو رءوسهم، وتأكَّد أنهم كانوا بين مصابي الطائرة التي سقطَت.

استطاع «أحمد» أن يُحدِّد شخصية «عوني»، رغم أنه كان يُوليه ظهره؛ فقد كان يتذكر حجم الرجل الهائل، ورقبته القوية، وأكتافه العريضة ... واستنتج «أحمد» أنهم يدرُسون خريطةً ما، ثم شاهد «عوني» وهو يرفع سماعة التليفون، ويستمع قليلًا، ثم يضعها ويقف ... ومن المدهش أنه اتجه إلى النافذة التي يقف خلفها «أحمد»، وغاص «أحمد» بين الشجيرات واستطاع من مخبئه أن يرى شبح «عوني» ... وأحس بأن «عوني» قد تلقَّى مكالمةً هامة، هل يمكن أن تكون خاصة بالشياطين؟ ... هل أبلغه أحدهم أنهم وصلوا قريبًا منه؟!

اختفى شبح «عوني» من النافذة، وعاد «أحمد» ينظر ... كانت الستائر قد انفرجَت قليلًا ... وشاهد «أحمد» «عوني» يتحدث مع بقية الرجال وقد بدت على وجهه علاماتُ الاهتمام.

وفي هذه اللحظة سمع صوتًا مكتومًا يشبه صَفَّارةَ إنذارٍ داخلية، وأُضيئت مجموعة من الأضواء الكاشفة، أخذَت تمسح الأرض الفضاء المحيطة بالمباني ... وأدرك «أحمد» أن استنتاجه صحيح ... لقد تلقَّى «عوني» إنذارًا، باقتراب الشياطين ووصولهم إلى مكانه ... ولا بد أن شخصًا ما أخطره بوصول طائرة عليها خمسةٌ من الغرباء ... ومن السهل على «عوني» أن يعرف من أوصافهم أنهم الشياطين.

أسرع «أحمد» يزحف بين الشجيرات مبتعدًا ... كان يريد الخروج من المكان بأسرعِ ما يمكن، ليُبلغ الشياطين أن «عوني» عرف بوجودهم، وأن الصراع سيبدأ بأسرعَ مما تصوَّروا، ولكن حُلم الخروج تبدَّد تمامًا عندما سمع صوت كلاب الحراسة وهي تنطلق من عقالها ... ونباحها الوحشي يرنُّ في الصمت المُوحِش.

تدحرج مسرعًا إلى أقرب حفرة؛ فقد فرش أحد الكشافات الضخمة مكانه، وربض في الظلام، وقد تسارعَت أنفاسه أنه لم يكد يبدأ مهمَّته حتى وقع في فخ.

رفع رأسه تدريجيًّا، كانت البقعة التي يتمدَّد فيها ساكنة؛ فقد انطلقَت الكلاب والحُراس ناحية السور.

وفكَّر «أحمد» أن آخر مكانٍ يمكن أن يتصوَّروا وجوده فيه هو المبنى الذي أمامه ... زحف على الأرض حتى وصل إلى نافذةٍ مظلمة، وأخرج من جيبه أداةً رفيعة استعملها في فتح النافذة ... ثم قفز إلى داخل الغرفة.

كانت الغرفة تسبح في ظلامٍ دامس ... لذا أخرج مصباحًا صغيرًا أطلق منه خيطًا من الضوء استطاع أن يكشف له بسرعة أنه في غرفة نوم لم يكن بها أحد ... ولكن في لحظة تالية فُتح الباب ودخل أحد الأشخاص مسرعًا وأضاء النور ... وفي قفزةٍ واحدة كان «أحمد» بجوار الرجل، وقبل أن ينطق بحرف، كان قد وجَّه له لكمةً ساخنة ثم تلقَّاه بين ذراعَيه، قبل أن يسقط على الأرض، ومدَّده سريعًا على الفراش ... ثم أطفأ النور بعد لحظات ... وربما كان ذلك هو الخطأ الوحيد الذي ارتكبه في تلك الليلة؛ فقد فُتح الباب مرةً أخرى، وأطَلَّ وجهٌ قال صاحبه: ماذا حدث يا «هانز»، هل ستنام؟

أخرج «أحمد» مسدَّسه ورفعه في وجه الرجل وقال: ادخل فورًا!

ثم جذبه من رقبته ... كان رجلًا متوسط الطول شديد الأناقة يلبس ثياب البحارة، وعندما شاهد «أحمد» ابتسم وقال: ما هذا يا بني ... لقد وصلتم منذ ساعات قليلة فكيف دخلتَ؟

قال «أحمد»: ادخل.

ثم أغلق «أحمد» الباب وقال: أين عوني؟

ردَّ الرجل وهو ما زال يبتسم: يا لك من شابٍّ شجاع! إنك تبحث عن موتٍ محقَّق!

أحمد: دعك من الموت والحياة ... إنني جئتُ في طلب «عوني»، وسوف أحصل عليه حيًّا أو ميتًا.

اقتربَت أصوات وقع أقدامٍ من باب الغرفة المغلق، ثم توقفَت، واتجه «أحمد» سريعًا ناحية النافذة المفتوحة، ومسدَّسه مصوَّب إلى الرجل الذي كان وما زال يبتسم، وفي الوقت الذي فُتح فيه الباب، أطلق «أحمد» مسدَّسه، فحطَّم مصباح الغرفة ثم قفز إلى الخارج ... أخذ يجري مسرعًا، وقد توقَّع سيلًا من الطلقات خلفه ولكنَّ شيئًا من ذلك لم يحدث ... واتجه ناحية البحر ... كانت فرصته الوحيدة أن يقفز إلى المياه ثم يسبح مبتعدًا حتى ولو اضطُر إلى السباحة ساعاتٍ طويلة في المياه شبه المتجمدة.

اقترب من الساحل وهو يلهث ... ولكن الأمل الذي راوده كان من الصعب تحقيقه ... فقد كان هناك حارسان، أمامهما مجموعةٌ من كلاب الحراسة السوداء المتوحشة، كانت واضحة تمامًا فوق الأرض التي يغطِّيها الجليد.

كان الشاطئ مكوَّنًا من مجموعة من التلال المغطَّاة بالثلج ... ولاحظ «أحمد» وجود فجوةٍ سوداءَ ضخمة في أحد التلال ... أسرع إليها وقد بدأَت الكلاب تُدير وجوهها في اتجاهه.

بداية معركة

كانت الفجوة السوداء مدخلًا لدهليزٍ طويل، ودُهش «أحمد» لوجود مثل هذا الدهليز في الثلج ... ولكنه تذكَّر أن «الإسكيمو» وهم سكان هذه المناطق المتجمدة يقيمون مدخلًا لمساكنهم الثلجية، عبارة عن دهليزٍ طويل تنام فيه كلابهم ينتهي بالمسكن.

ودخل مسرعًا وهو يَحني ظهره؛ فقد كان ظهر الدهليز منخفضًا، وواجهَته فيها رائحةٌ كريهة، لكن ذلك لم يكن مهمًّا ... وسمع صوت الكلاب المتوحشة يقترب من الدهليز ... وخشي أن يصبح محاصرًا في داخل هذا المكان الذي يُعتبر سجنًا حقيقيًّا له، فخرج بسرعة ... وعلى ضوء بطاريات الحرس أطلق طلقتَين ... وسمع رجلَين يصيحان، ثم جرى بأقصى سرعته تجاه الشاطئ ... ولكن المفاجأة الأخيرة في تلك الليلة كانت بانتظاره ... فقد انطلق ضوءُ كشَّافٍ ضخم من المياه أضاء البقعة التي يقف فيها، وسمع صوتًا قويًّا ينطلق من مكبِّر صوتٍ يقول له: قف مكانك. لا جدوى من المحاولة!

وتعزيزًا لهذه المحاولة انطلق حوله سيلٌ من الرصاص في شكل دائرة أحاطت به ... ووقفَت الكلاب المتوحِّشة تعَضُّ على نواجذها الحمراء، وكأنها تتمنى التهامه.

كانت أي محاولة للفرار غير مجدية ... فقد كان كشَّاف الضوء القوي القادم من قاربٍ كبير، يبهر عينَيه ... وكانت الكلاب تقف متحفزة، وأشباح أربعة رجال أو خمسة رجال تحيط به.

ووقف مكانه ثابتًا، وتقدَّم الرجال منه ... وعلى ضوء الكشَّاف لاحظ هيكل «عوني مسعود» الضخم يقترب، وسمع صوته الذي يعرفه جيدًا يقول له: مرحبًا برقم «١»، في جزيرتنا الصغيرة.

بعد لحظاتٍ كان يسير عَبْر سلسلةٍ من الممرات الطويلة، داخل مباني هذا المعسكر العجيب ... كان واضحًا أنهم يريدون ألا يعرف أين يسير ... وأخيرًا أدخلوه غرفةً مؤثَّثة

بأثاثٍ فاخر ... كانت الغرفة تموج في ظلامٍ حالك، لا يُبدِّده إلا مصباحٌ قوي للقراءة، يلقي دائرة من الضوء على مكتبٍ ضخم، جلس خلفه «عوني» بوجهه القوي، وكان يضع بعض الضمادات على جبهته وعلى إحدى يدَيه.

قال «عوني»: اجلس يا عزيزي رقم «واحد».

جلس «أحمد» وهو يتأمل «عوني»، الذي استمر يقول: كيف حال صديقنا رقم «صفر»؟

لم يردَّ «أحمد»، فعاد «عوني» يقول: إنكم تتمتعون بكفاءةٍ عالية، والحقيقة أنني معجبٌ جدًّا بهذا الرجل ... وبكم أيضًا ... ولكن ...

وسكت «عوني» ثم قال: كم معك من الشياطين؟

لم يردَّ «أحمد»، فعاد عوني يسأل: إنني أريد كل المعلومات الهامة عن المقر السري للشياطين ... إنني أعرف أنكم غيَّرتم مكانكم.

وأحَسَّ «أحمد» بقلبه ينبض بسرور ... فمعنى ذلك أن «عوني» لا يعرف المقر الجديد ... وعاد «عوني» يقول: لا تُحاول أن تخفي شيئًا يا رقم «واحد» ... إن عندنا وسائل ستُجبِرك على الكلام.

أحمد: لعلك تعرف قبل أي إنسانٍ آخر، استحالة أن أقول لك أي شيء عن المنظمة!

عوني: حتى إذا كنتَ ستنتقل إلى منظمةٍ أقوى وأغنى؟!

أحمد: ليس هناك إغراء في العالم يجعلني أخون المنظمة، ولم يخُنها أحدٌ من قبلُ ... أنت فقط!

بدا وجه «عوني» هادئًا، ولكن كان من الواضح أنه يُحاول ضبط مشاعره أمام اتهام «أحمد» له بالخيانة ... وبعد لحظاتٍ عاد يقول: ليس هذا وقت الكلام عني ... من الأفضل أن تقول لي من معك؟ وأين هم؟ فقد طوَّقنا الجزيرة ... ولن يستطيعوا الفرار ... وبدلًا من تعريضهم للقتل ... دعنا نتفق!

أحمد: أنت تعرف أننا لا نخاف شيئًا.

عوني: سنُجبِرك على الكلام.

أحمد: لا بأس من المحاولة.

ظهر الغضب على وجه «عوني» ودق جرسًا أمامه، وبعد لحظاتٍ ظهر اثنان من الحُراس المسلَّحين، وقام «أحمد» واتجه بينهما خارجًا عبر الممرَّات الطويلة، كان يُفكِّر في زملائه ... وفي الوسائل الجهنمية التي سيُجرِّبها معه «عوني» لإجباره على إفشاء أسرار المنظمة ... وفكَّر أن الحل الوحيد هو الفِرار فورًا.

كانت الدهاليز نصف مضاءة ... وعلى الجانبَين نوافذُ زجاجيةٌ كبيرة، وفي لحظةٍ انحنى «أحمد» إلى الأمام ثم أمسك بساقَي الرجلين وجذبهما بشدة ... وسقط الرجلان على ظهرهما ... واندفع «أحمد» كالصاروخ من إحدى النوافذ الزجاجية فحطَّمها وسقط في الخارج ... واتجه شمالًا حيث كان قد شاهد شبح طائرة تربض في الظلام ... وبدأت صفَّارات الإنذار تدُق مرةً أخرى.

واستخدم «أحمد» كل سرعته في الجري حتى وصل إلى قرب الطائرة ... كان هناك حارسٌ واحد يتجوَّل حولها ... ولم يمهله «أحمد» لحظةً واحدة ... بل اقترب منه في هدوء، ثم انقض عليه كالوحش ... وأداره ناحيته ثم ضربه ضربةً أسقطَته على الأرض ... وقفز إلى الطائرة، وأدار المُحرِّك ... وشاهد بضعة حُراسٍ يتجهون مسرعين إليه ... وأدار الطائرة ناحيتهم، وأطلق لها العِنان على الأرض ... واضطُروا جميعًا إلى إلقاء أنفسهم على جانبَي الممر حتى لا تدوسهم الطائرة ... وسار «أحمد» بالطائرة حتى أخذَت سرعتها القصوى، وصَعِد بها إلى الجو ... واستطاع من مكانه أن يشاهد المباني والمصانع التي لا تكُف عن العمل، وتمنى لو كان معه بعض القنابل حتى يحيل المكان إلى رماد.

أُطفئَت أنوار المعسكر الكبير فجأةً وساد الظلام، وأسرع «أحمد» يتجه غربًا إلى حيث مطار «سيورد»، وفي أقلَّ من نصف ساعة كان يحلِّق فوق المطار، وشاهد طائرتهم «الضفدعة» تقف في آخر الممر ... كانت مغامرةً محفوفة بالمخاطر أن ينزل أرض المطار دون إرشادات ودون أنوار، ولكنه كعضو في فريق الشياطين كان قد تمرَّن على كل شيء.

وسرعان ما كان يدور ليهبط إلى أرض المطار، عندما لفت نظره في الخليج الممتد بين جزيرة «سيورد» وجزيرة «كودياك» ما يشبه كُراتٍ من النيران الصغيرة تنطلق من الشاطئ إلى البحر ومن البحر إلى الشاطئ ... وأحَسَّ «أحمد» أن خطرًا ما يُحيط بالشياطين، وأسرع يدور مبتعدًا عن المطار ... ثم يأخذ طريقه إلى الخليج.

على الفور أدرك أنه كان على حق ... فقد كان قارب الشياطين يتعرض لإطلاق النار عليه من الشاطئ ... بينما كان هناك قاربٌ كبير يقترب منه.

أدرك «أحمد» أن الشياطين في مأزقٍ حقيقي ... ولا بد أنهم عندما سمعوا إطلاق النار في المعسكر سارعوا بالابتعاد، حتى يتمكَّنوا من وضع خطَّة للهجوم.

أخذ «أحمد» يبحث في الطائرة عن أسلحةٍ كبيرة ... وكم كانت دهشته عندما لاحظ أن الطائرة تُخفي في أجنحتها مدفعَين رشاشَين ... أدرك ذلك من متابعة مجموعة المفاتيح في تابلوه الطائرة ... ووجد مقبضَين بارزَين، ضغط على أحدهما، فانطلق من جناح الطائرة الأيمن دفعاتٌ من القذائف الصغيرة.

مال «أحمد» بجناحه ناحية القارب الذي يطارد الشياطين ... ثم ضغط على المقبضَين معًا، فانطلق سيلٌ من القذائف أصاب القارب إصاباتٍ مباشرة ... وبعد لحظات ... شاهد النيران تشتعل فيه ... ثم اتجه إلى الشاطئ ... ورش مصدر النيران بسلسلةٍ متقنة من الطلقات، ثم ارتفع إلى فوق، عندما وجدهم يصوِّبون مدافعهم نحوه، فدار دورةً واسعة، ثم عاد من الخلف، وأعاد رشَّ المكان بالمقذوفات.

مال «أحمد» بالطائرة ميلًا مفاجئًا، ثم حلَّق فوق قارب الشياطين واقترب منهم ... وشاهدَت «إلهام» الألعاب البهلوانية التي يقوم بها وصاحت: «أحمد»!

وتجمَّع بقية الشياطين على اللنش ... وشاهدوا صديقهم الرائع يقترب من سطح البحر رغم الظلام، ثم يحوم حولهم مشيرًا بيده إلى جزيرة «سيورد»، وفهموا أن عليهم أن يتجهوا إلى هناك سريعًا.

وصل «أحمد» قبل الشياطين بمدةٍ طويلة، ونزل من الطائرة وأسرع إلى الميناء الصغير ... وسرعان ما شاهد القارب يقترب من الشاطئ فأسرع إليه ... وقفز الشياطين منه ومعهم الكلبان، وصاح «بو عمير»: ماذا حدث؟

ردَّ «أحمد»: حدث الكثير ... إن «سادة العالم» سيُطارِدوننا إلى أقصى الأرض.

هجوم ... وهجومٌ مضاد!

طلب «أحمد» من «بو عمير» مساعدته في فك بعض أجزاء الطائرتَين حتى لا تصلُحا للإقلاع، إلا بعد إعادة تركيب هذه الأجزاء ... وبسرعة تم خلع الأجزاء الصغيرة الهامة.

ثم قال «أحمد» للشياطين: إنهم اكتشفوا وجودنا بسرعة ... وبالطبع فهم يعرفون أين نسكن.

فهد: لقد شاهدتُ مجموعةً من قوارب «الكاياك» على الشاطئ ... وكل قاربٍ منها يسع شخصًا واحدًا ... وإنني أقترح أن نتفرَّق حتى لا يمكن اصطيادنا بالجملة.

إلهام: إنني أفضِّل أن نهاجم الآن!

التفت إليها الشياطين في دهشة فقالت: إنهم يتوقَّعون بعد هرب «أحمد» بالطائرة، وفرارنا بالقارب، أننا سنحاول الابتعاد عنهم ... ولهذا فإن قُوَّتهم الرئيسية ستكون مشغولة الآن بمطاردتنا، وأعتقد أن المعسكر الرئيسي والمصانع ستكون خالية من الحُراس، أو أن يكون حولها عددٌ قليل ... ولو هاجمنا الآن فسوف نتمكن من العثور على «عوني» الآن، وقد لا نعثُر عليه فيما بعدُ.

تحمَّس «أحمد» و«زبيدة» للاقتراح، وهكذا أصبحوا ثلاثة موافقين، أمام اثنَين معارضَين، فتقرَّر تنفيذ الاقتراح ... وتناقشوا سريعًا في وضع خطة الهجوم!

قال «بو عمير»: أعتقد أن من الأفضل وضع أكبر كمية من الألغام «اليورانيوم» سرًّا ... ومن المصلحة القضاء عليها ... وفي نفس الوقت سيكون تركيز الهجوم على «عوني» الذي هو المهمة الرئيسية لنا.

أحمد: خذ «إلهام» و«زبيدة» معك ... وسنجتمع عند المبنى الرئيسي ... هناك حظيرة للسيارات ... وبعد ساعتَين سنكون هناك.

بو عمير: والكلبان؟

أحمد: سنأخذهما معنا للهجوم على المعسكر من الداخل.

وتحرك الجميع ... «بو عمير» وزميلتاه اتجهوا ناحية الشاطئ؛ حيث حصلا على المفرقعات من القارب ... و«أحمد» و«فهد» والكلبان، اتجهوا إلى التلال الثلجية المحيطة بالمعسكر، وقد لاحظ «أحمد» على الفور حركة السيارات التي أخذَت تغادر المعسكر.

وقال لـ «فهد» هامسًا: لقد كانت «إلهام» على حق ... فهم جميعًا يغادرون المكان، وبالتأكيد سوف يمسحون جزيرة «سيورد» و«كودياك» بحثًا عنَّا.

غادرَت ثلاث سيارات المعسكر، محمَّلة بالحُراس المسلَّحين ... وأغلقت البوابة ... وما كادت السيارات تختفي، حتى قفز «أحمد» و«فهد» ومعهما الكلبان، ودارا دورةً واسعة إلى حيث نفس الشجرة التي قفز منها «أحمد» إلى المعسكر، وقفز «أحمد» إلى الداخل وتَبِعه «فهد» وبحث «أحمد» عن قطعة خشب حتى وجدها، ثم وضعها بين الأسلاك الشائكة المكهربة، ونادى على الكلبَين فقفزا داخلَين.

سار الأربعة مسافةً في اتجاه المبنى الرئيسي الذي كان مظلمًا، عدا بعض أضواءٍ قليلة تناثرَت هنا وهناك ... وفجأة سمع «فهد»، و«أحمد» زمجرةً عالية، وظهر شبح ثلاثة كلابٍ تتجه ناحيتهما.

فقال «فهد»: ذهب وفضة ... هيا.

وقفز الكلبان إلى الأمام ... وسرعان ما كانا يشتبكان مع الكلاب الثلاثة في معركةٍ ضارية ... وشاهد «أحمد» و«فهد» الأضواء تزداد، ثم ظهر شبح رجل على الباب الرئيسي، واتجه وأحمد يمينًا، و«فهد» يسارًا، ووقفا بجوار الباب، وكان الرجل يمد يده بمسدَّسٍ ضخم وهو يُبحلِق في الظلام ... ومد «فهد» يده بهدوء، وأمسك بمعصم الرجل، ثم لواه في اتجاهٍ عكسي، وبيده الثانية ناوله لكمةً سقط على أثَرها فاقد الوعي.

اقتحم «أحمد» و«فهد» الباب، وسمعا حركة تدور في إحدى الغرف، فأسرعا إليها ... كان الباب مفتوحًا، وسمعا صوت رجلَين يتحدَّثان.

كان أحدهما يقول: ماذا حدث؟

ردَّ الصوت الآخر: لقد كنتُ نائمًا، واستيقظتُ على حركة الكلاب.

الأول: وأين «عوني»؟

الثاني: إنه في غرفة اللاسلكي، يتصل بالسيارات التي خرجَت للبحث عن هؤلاء الأولاد.

وعندما خرج الرجلان من الغرفة، انقَضَّ «فهد» على أحدهما، و«أحمد» وعلى الآخر ... ودارت معركةٌ سريعة، سقط أحد الرجلَين على أثَرها مصابًا بضربةٍ قاضية من يد «فهد»، بينما لوى «أحمد» ذراع الثاني وقال له: خذنا إلى غرفة اللاسلكي!

سار الثلاثة معًا حتى وصلا إلى سلَّم ينزل تحت الأرض، ونزل الرجل أولًا، ثم تبعه «أحمد» وهو يضع مسدَّسه في ظهره ... ودار السلَّم بهم إلى دهاليزَ مصفَّحة بالصلب الراق، والأضواء الكهربائية العالية، وعشراتٍ من المفاتيح الضخمة التي تتحكَّم في المكان، وسار مسافةً بعيدة في اتجاه الشمال ... وخُيِّل لـ «أحمد»، أنه يسمع شيئًا.

سمع صوت الرياح وهدير البحر ... ثم أشرفوا على صالةٍ واسعة، ظهر في أحد جوانبها بابٌ ضخم مصفَّح بالحديد وعليه مقودٌ يشبه مقود السيارة، وهو عبارة عن مجموعة من العدادات والساعات الموجودة على الحائط؛ عندئذٍ أدرك أنه في مكان القيادة التي يتحرَّك منه «سادة العالم» ويحاولون السيطرة على الدنيا، ولم يشُكَّ «أحمد» لحظةً أن هذا الباب يؤدي إلى البحر.

كان المشهد رهيبًا ... وصوت البحر يزداد حدَّة. وداروا يمينًا ثم شاهدوا بابًا مغلقًا ... ودق الرجل الباب بطريقةٍ معينة، ثم ضغط زرًّا جانبيًّا وسمعوا صوتًا يشبه دوران المحرك ... ودار الباب على عقبه ... وفي الداخل كان «عوني» يجلس وبجواره رجلٌ آخر، وكلٌّ منهما يضع على أذنه سماعة ويتحدث إلى الأخرى.

صاح «أحمد»: لا تتحركا!

ودار الرجلان في مكانَيهما بسرعة، وقد بدا عليهما الذعر ... كان «عوني» يبدو أكثر هدوءًا ... أما الآخر وهو رجل يقترب من الستين، فقد كان له شكلٌ أقرب إلى شكل العلماء، بنظارته المذهبة ولحيته البارزة ولونه الشاحب.

قال «عوني»: من الأفضل لكما أن تُسلِّما ... لن تستطيعا الفِرار من هذا المكان مطلقًا ... إننا على استعداد لإتمام تسوية.

ردَّ «أحمد»: إننا نريدك أنت ... بقية الأمور سوف نعالجها فيما بعدُ ... هيا بنا.

وقف الرجل ذو اللحية، بينما حدث شيءٌ غريب من «عوني» فقد دار بكرسيه فجأة، وضغط شيئًا بقدمه، فانطفأَت الأنوار في المكان ... وسقط «أحمد» و«فهد» في فتحة انشقَّت عنها أرض المكان.

حدث كل شيء في جزء من الدقيقة! ... ووجد «فهد» و«أحمد» نفسَيهما في غرفةٍ من الصلب تعمل بها أجهزة تكييف في السقف، وواضحٌ أنها على بُعدٍ سحيق تحت الأرض.

لم يكن عندهما ما يفعلانه ... وأحَسَّ «أحمد» بالضيق الشديد لأنه وقع مرتَين في براثن العصابة ... وأدرك أنهم تسرَّعوا بالهجوم ... فالقوة التي أمامهم ليست هينة.

وفجأةً دوَّى صوتُ مُكبِّرٍ قوي في الغرفة الضيقة وسمعا صوت «عوني» يقول: أظن أننا لن نختلف هذه المرة ... أجب يا رقم «واحد»!

لم يرُدَّ «أحمد»؛ كان يُحس بغيظٍ لا يمكن قياسه.

وعاد «عوني» يقول: لقد تمَّت السيطرة على بقية العناصر ... ولم يعُد عندكم ما يمكن أن تفعلوه!

تحدَّث «أحمد» لأول مرة فقال: إنكَ مهما فعلتَ فلن تُفلِت من أيدينا، وأنت تعرف قبل أي شخصٍ آخر أننا لسنا وحدنا ... إن وراءنا منظمةً قوية سوف تسعى للإيقاع بك أينما ذهبت!

عوني: إذن ... ستتكلم رغمًا عنك.

وسمع «فهد» و«أحمد» صوتًا يشبه مرور النسيم ... صوت شيءٍ يتسرَّب إلى الغرفة، وشمَّا رائحةً جميلة، وبعد لحظاتٍ شعر كلٌّ منهما أن إرادته تتلاشى تدريجيًّا ... وأنه يرى عشرات الألوان المتداخلة ... وأنه يدخل في رحلةٍ مريحة كأنه على سطح قاربٍ فوق بحرٍ هادئ.

ومرَّت دقائق، وفتح الباب ودخل رجلان، قام كلٌّ منهما بإمساك واحدٍ من الشياطين وخرج به من الغرفة، ووقفا على سلالمَ متحرِّكة حملَتهم إلى فوق ... كانا مستسلمَين كطفلَين صغيرَين قد شربا كميةً رائعة من اللبن واستسلما للسعادة.

السر الخطير!

دخل «أحمد» و«فهد» مرةً أخرى إلى نفس الغرفة ... ولكن الظروف كانت قد اختلفَت ... فقد بدت في وجه الرجال الأربعة؛ «عوني» وذي اللحية، والحارسَين، علامات النشوة والانتصار ... وكان «أحمد» يُحاول أن يتماسك ... كان ينادي نفسه من أعماقٍ بعيدة أن يستيقظ ويثبُت ... وكان «فهد» يُحاول أيضًا ... ولكن إرادة كلٍّ منهما كانت قد تلاشت ... لقد استطاع الغاز أن يسيطر على تفكيرهما، ويشلَّ إرادتهما.

وجلس كلٌّ منهما على مقعد ... وبدأ «عوني» هادئًا ورقيقًا، وقال موجِّهًا كلامه إلى «فهد»: إنك لا تعرفني يا صديقي الشاب ... ولكن زميلك رقم «واحد» يعرفني ... فإذا سألتُك فأجب على الفور ... لا شيء سوف يضرك أو يؤذيك ... وما ستقوله سوف ينقذك.

وسكت «عوني» لحظاتٍ ثم طلب من الحارسَين مغادرة الغرفة، فغادراها على الفور، وقال «عوني»: كم عددكم؟

أخذ «فهد» يبذل مجهودًا مضاعفًا حتى لا يجيب رغم أنه كان يرغب في الإجابة حقًّا ... ولكنه كان يعرف أن هذا ضد مبادئ المنظمة. إن إجاباته قد تحطِّم كل ما بنَوه.

ومضى «عوني» يسأل: المهم الآن هو المكان ... أين مقركم بالضبط؟ ... واقترب الرجل ذو اللحية من «فهد»، وأخذ يركِّز نظراته عليه ... وأحَسَّ «فهد» بأنه يتهاوى، وأنه سيجيب ... وبدأ فعلًا يرُد.

قال في صوتٍ واهن: إن المكان يقع ...

وفي تلك اللحظة دوَّى انفجارٌ رهيب هز المكان ... وتوقَّف الجميع في أماكنهم، ولم تمضِ سوى ثوانٍ قليلة حتى دوَّى انفجارٌ آخر أشد عنفًا وأكثر قربًا ... واهتز كل شيء.

وصاح «عوني» في الرجل ذي اللحية: الخرائط والأسماء.

وبدأ الرجل يُحرِّك بعض الأزرار ... وبدا في الحائط شيء يتحرك، كان باب خزينةٍ ضخمة بداخلها ملفاتٌ ضخمة من البلاستيك السميك، ولوحاتٌ من الورق المقوَّى قد ثُبِّتَت بها عشراتٌ من المسامير الحمراء والصفراء والزرقاء ... ولاحظ «أحمد» في عينَي «عوني» نظرةً غريبة إلى هذه المجموعة من الملفات والخرائط ... وأقفر المكان بانفجارٍ ثالث ... وبدأ «أحمد» و«فهد» معًا يعودان إلى حالتهما الطبيعية ... كان صوت الانفجارات قد أعاد إليهما قدْرًا من التوازن ... ولكنهما كانا يشعران بضعفٍ شديد.

وأسرع عوني والرجل ذو اللحية يُفرِغان الخزينة الضخمة من محتوياتها ... وكان واضحًا أن ثمَّة نظامًا دقيقًا لعملية التفريغ ... فقد كانت هناك حقيبتان ضخمتان بجوار الخزينة ... وُضعَت فيهما الخرائط والملفات بسرعة وإتقان.

حاول «أحمد» النهوض ... ولكنَّ ساقَيه لم تحتملاه ... وكذلك فعل «فهد». قال ذو اللحية: ماذا سنفعل؟ هل سنأخذهما معنا؟

تردَّد «عوني» لحظات ... وسمع صوت انفجارٍ رابعٍ عنيف هزَّ المكان بشدة وتطايرَت الأشياء.

فقال «عوني»: هيا بنا ... سوف نجدهما في أي وقت!

الرجل: وهذه الانفجارات؟

عوني: ربما حدث خطأ في أحد المفاعلات أدَّى إلى هذه الانفجارات ... ومن الأفضل أن نُنقِذ المستندات من الضياع أو الحريق حتى يمكن السيطرة على الحالة.

وخرج الرجلان مسرعَين ... وقام «أحمد» وهو يترنَّح ومعه «فهد» وسارا خلفهما ... قطع الرجلان الدهليز الطويل، ثم وقفا أمام الباب الصلب المستدير في الحائط، وبدأ الرجل ذو اللحية يُدير مفاتيحه ... وما كاد الباب يفتح، حتى ظهر صوتُ محرِّك يدور ... وسالت على الأرض بعض المياه ... وبدا واضحًا أن هذا الباب ليس إلا بابًا جانبيًّا، يؤدي لغواصةٍ تقف على استعداد للرحيل ... وكاد الرجلان يدخلان الغوَّاصة، لولا أن انفجارًا خامسًا قويًّا هزَّ المكان من أساسه ... وتدفَّقَت المياه فجرفَت الرجلَين ... ثم جرفَت «أحمد» و«فهد» ... وبدا كل شيء عائمًا في هذه اللحظات الخطرة.

لم يكن في إمكان أحدٍ أن يقف أمام هذا الطوفان ... وكان «أحمد» و«فهد» قد استردَّا وعيهما بالكامل. وكان هدف «أحمد» في هذه اللحظة هي الحصول على هذه المستندات الهامة التي كان ذو اللحية و«عوني» يحملانها ... وبدأ صراعًا في محاولة للاقتراب منهما أمام سيل الماء المتدفق ... ولكنَّ الرجلَين كانا يعرفان جغرافية المكان خيرًا من «أحمد»

و«فهد»، وهكذا استطاعا الاختفاء سريعًا خلف أحد الأبواب ... ولم يعُد أمام الشياطين إلا محاولة النجاة بحياتهما.

صاح «أحمد»: دعنا نستسلم للتيار. إنه سيحملنا خارجًا.

واستلقيا على ظهرَيهما وتركا نفسهما للتيار ... وسرعان ما كان يحملهما خارج المبنى.

كان المشهد الخارجي مثيرًا ... فقد كانت الانفجارات قد حطَّمَت مجموعة المباني الكبيرة ... ولحسن الحظ أن الجو الشديد البرودة لم يساعد النيران التي اشتعلَت على الاستمرار ... وظهر الكلبان «دهب» و«فضة»، وأسرعا نحو «فهد» و«أحمد» ... ثم ظهر بقية الأصدقاء.

قال «أحمد» مسرعًا: لقد أنقذتمونا.

إلهام: المهم أننا عرفنا سر هذا المعسكر الكبير.

أحمد: كيف؟

إلهام: استطعتُ استجواب أحد العملاء الشبان الذين يعملون في المصانع هنا ... ليس هناك يورانيوم، ولا أية موادَّ لها علاقة بالذرَّة ... ولكن التجارب التي يُجْرونها هنا أخطرُ بكثير!

ومضت «إلهام» تقول: إنهم يحاولون رفع درجة حرارة المنطقة القطبية عشر درجات!

فهد: وماذا يعني هذا؟

إلهام: إنها نظريةٌ حديثة في العثور على البترول دون حفر ... فالبترول يُوجد في هذه المناطق في مساحاتٍ شاسعة، ولكن تحت الجليد، ومن الصعب استخراجه بالوسائل التقليدية ... وهكذا فكَّر مجموعة من العلماء في رفع درجة حرارة الجليد بحيث يذوب وينحدر في شكل مياه، كاشفًا عن طبقات الأرض التي تحمل البترول.

أحمد: إنها فكرةٌ شيطانية!

إلهام: فهمنا من العالِم الشابِّ أنه يعمل تحت ضغط؛ لأنه يعلم أن رفعَ درجة حرارة هذه المنطقة، ومدَّ أنابيب البترول بها، قد يؤدِّي إلى ذوبان كميةٍ هائلة من الجليد قد تتحول إلى فيضانٍ كاسح، يُهدِّد الحياة على سطح الأرض.

أحمد: إن هذه المعلومات خطيرة للغاية، ويجب الحصول على المستندات التي أخذها «عوني» والرجل ذو اللحية معهما.

بو عمير: إنهما لن يستطيعا مغادرة المكان الآن إلا عن طريق البحر.

أحمد: معك حق، وقد حاولا ركوب غوَّاصة للفِرار بها ... ولكن الانفجارات أدَّت إلى تدفُّق المياه، ومنع الغوَّاصة من الإبحار.

كان المشهد حول الشياطين يبدو عجيبًا ... فالليل مستمر في هذه الدائرة القطبية ... والانفجارات قد تركت المصانع كالأطلال ... وحرائقُ صغيرة تتناثر هنا وهناك كأنها نوعٌ من الورد في محيطٍ من البياض والسواد.

لم يكن هناك أثَر لإنسان ... هرب كل مَن في المعسكر في اتجاهاتٍ مختلفة. ولم يعُد أمام الشياطين إلا العودة إلى المقر الرئيسي ... فلا بد أن «عوني» والرجل ذا اللحية سيُحاوِلان الهرب بالغوَّاصة مرةً أخرى.

وتحرَّك الجميع بعد أن هدأَت المياه، وعاد كل شيء إلى حاله ... دخلوا إلى مجموعة من المباني التي تحطَّم منها الجزء الأعظم ... ولكن الأجزاء التي بُنيَت بالصلب والنازلة إلى جوف الأرض كانت لا تزال سليمةً إلى حدٍّ بعيد.

فجأةً زمجر «دهب» و«فضة»، وبدا أنهما يدركان شيئًا خفيًّا يحدُث في المكان، وتوتَّرَت عضلات الكلبَين وأخذا يدوران في المكان.

همس «أحمد»: هناك من يراقبنا!

وأسرع الشياطين يختفون بجوار الجدران ... وفجأةً انطلق سيلٌ من الرصاص في نفس الاتجاه الذي كانوا فيه ... وارتفع صوتٌ يقول: استسلموا!

نهاية البداية

ردَّ «أحمد» على الفَوْر بسلسلةٍ من الكلماتِ شملَت اتجاه الغرب واتجاه الصوت، وتفرَّق الشياطين ... واختبأ الكلبان المدرَّبان ... وسمع الشياطين مكانهم صوتَ أقدامٍ كثيرة تجري في كل اتجاه.

وقال «بو عمير»: إنهم يحاولون محاصرتنا.

أحمد: اتجهوا إلى الممر الأيمن ... هناك غوَّاصةٌ جاهزة للإبحار.

وأسرع الجميع في الاتجاه الذي وصفه «أحمد»، ولكن ظهر مجموعة من الرجال في ملابسَ سوداءَ متشابهة، وبدأَت معركةٌ من معارك الشياطين النموذجية ... معارك الالتحام بالأيدي والأقدام. وطار الرجال في الهواء، وسقطوا ... وارتفعَت الأنَّات والآهات من كل مكان.

واشترك الكلبان «فضة» و«دهب» في المعركة ... واستطاعت مجموعة الشياطين أن تنتهي من المعركة في دقائق، ثم اتجهوا إلى ناحية الغوَّاصة ... في نفس الوقت الذي ظهر فيه ثلاثة من الرجال في ملابس البحَّارة ومعهم قائدهم ... كانوا أيضًا متجهين إلى الغوَّاصة ... وأشار «أحمد» للشياطين بالاختباء حتى يَرَوا كيف سيتمكَّن الرجال من دخول الغوَّاصة.

واتجه الرجال إلى الباب الضخم الذي كانت الأمواج قد جرفَته، ولكنه ظل مفتوحًا ... وأخرج الكابتن مفتاحًا صغيرًا أدخلَه في الجدار، فظهر مقبضان من الصلب أداره ناحية اليسار ثم ناحية اليمين ثم أعاده إلى مكانه، وبسرعةٍ قفز إلى أرض المكان ما يشبه منفاخًا ضخمًا كأنه سلَّم طائرة، وأسرع الرجال للدخول ... ودخل خلفهم الشياطين ... ومرةً أخرى دارت معركةٌ عنيفة كان «أحمد» حريصًا على ألا يقتل أحدًا ... كان يريدهم أحياءً لإدارة الغوَّاصة.

واستطاع الشياطين السيطرة على الموقف ... وبرزَت المسدَّسات تضغط على صدور الرجال وصوت أوامر «أحمد» بإبحار الغوَّاصة ... ودارت الماكينات.

قال للكابتن وهو يمسح فمه: إلى أين؟

أحمد: إلى حيث يُوجد «عوني» ومن معه.

الكابتن: كيف عرفتَ أنهما في انتظارنا؟

أحمد: لقد حاولا إدارة الباب، ولكنَّ الماء جرفهما بعيدًا، وإنني أتصور أنهما في انتظاركم قريبًا من هذا المكان.

الكابتن: على شاطئ «سيورد» ... لقد حاولا إدارة الطائرة ولكنهما لم يستطيعا.

أحمد هيا بنا.

وأخذَت الغوَّاصة الصغيرة تتحرك ... وسرعان ما خرجَت إلى مياه خليج ألاسكا ... ومضت نصف ساعة، وأخذ الكابتن يُصدِر أوامره إلى الرجال للصعود بالغوَّاصة إلى ظهر المياه.

بدأَت الغواصة تصعد ... وطلب «أحمد» من «بو عمير» و«فهد» أن يقفا في جانب الباب الرئيسي، وبعدهما «إلهام» و«زبيدة»، ووقف هو يراقب الرجال، وقال بحزم: أية محاولةٍ للعبث ستُواجَه بالضرب بالرصاص.

وبدأَت أصوات المياه المُنحسِرة تعلو حتى صَعِدَت الغوَّاصة إلى سطح الماء ... وانتظر الشياطين أن ينزل «عوني» ومن معه ... ولكنَّ أحدًا لم ينزل ... ومرَّت دقائقُ حرجة، وأشار «أحمد» إلى «بو عمير» أن يصعد بحذر ويرى ما يحدث ... وصَعِد «بو عمير»، وبعد أن تلاشى صوتُ أقدامه على السلَّم ساد الصمت.

انتظر «أحمد» نحو خمسِ دقائق دون أن يسمع شيئًا، فأشار إلى «فهد» أن يصعد ويرى ... ولكن ما حدث مع «بو عمير» حدث مع «فهد»، ولم يتردَّد «أحمد» ... وأسرع يصعد هو ... صَعِد بهدوء حتى أصبح رأسه يُحاذي الحافة العليا لباب الغوَّاصة المستدير ... ثم أبرز رأسه وخَفضَه بسرعة ... ونزلَت آلةٌ حديدية ضخمة رنَّت على حديد الباب، وعرف «أحمد» أن زميلَيه قد أُصيبا بنفس الضربة من قبلُ.

مدَّ مِدفعه الرشاش من الباب، ثم أطلقه في شكلٍ دائري ... وسمع صيحاتٍ وأنَّاتٍ فصَعِد مسرعًا ... وشاهد على الفور سيارةً تقف، وبجوارها رجلان ... ثم سيارةً أخرى قد أطلقَت أشعة فوانيسها على الغوَّاصة، وحولها بضعة رجال ... وأعاد «أحمد» إطلاق الرصاص على أضواء السيارة، فساد الظلام وصاح «أحمد»: «عوني»، سلِّم نفسك.

جاء صوت «عوني» في الظلام قائلًا: إن زميلَيك تحت رحمتنا ... وإذا لم تسلِّم نفسك قتلناهما على الفور.

صاح «أحمد» غاضبًا: إنك لن تساومني بهذه الطريقة ... اقتلهما إن شئتَ وسأنسفك وأنسف كل شيء على هذه الأرض ... وتحت الماء أيضًا.

عوني: دعنا نتحدَّث كعقلاء ... إنك تحمل ديناميت ... ونحن نملك زميلَيك ... دعنا نفترق في هدوء.

ساد الصمت ... كان «أحمد» مُوزَّعًا بين واجبه وعواطفه.

وقال «عوني»: سنأخذ الغوَّاصة ونترك لكم السيارة ... إنني أعرف أنكم عطَّلتم الطائرتَين ... وفي إمكانكم الرحيل بواحدةٍ منهما.

فقال «أحمد»: أوافق.

وصرخ ينادي «إلهام» و«زبيدة»، اللتين صَعِدتا السلَّم في حذر وكلٌّ منهما تحمل سلاحًا.

نفَّذ «عوني» وعده، وقام رجاله بوضع «بو عمير» و«فهد» في السيارة، وفي هذه اللحظة، حدث شيء ينقض الاتفاق تمامًا ... فقد أخرج «ذو اللحية» مسدَّسًا من جيبه، وأطلق الرصاص على «أحمد»، الذي ألقى نفسه على الأرض فطاشت الرصاصة ... وانقضَّت «إلهام» و«زبيدة» على الحقيبتَين اللتَين كانتا على الأرض.

وصاح «أحمد»: إلى السيارة!

وأخذ يُطلِق الرصاص من مِدفعه الرشاش ... وأسرع «عوني» ورجاله إلى الغوَّاصة، بينما انطلق الشياطين بالسيارة، وقد حملوا معهم الوثائق السرية، وانطلقَت السيارة الثانية خلفهم، وبدأَت مطاردةٌ مخيفة على الجليد وفي الظلام.

كانت «إلهام» تقود السيارة ببراعة، وقال «أحمد»: إلى الطائرة ... ودُوري حولها، وسأقذف بنفسي خارجها!

اتجهَت «إلهام» إلى الطائرة، ودارت خلفها السيارة الثانية والرصاص يتطاير منها ... وألقى «أحمد» بنفسه خارجها ... ثم أطلق مِدفعه الرشاش على السيارة التي انفجرَت إطاراتها ... فدارت حول نفسها، ثم انزلقَت بعيدًا، وسقطَت في إحدى الخلجان الكثيرة المنتشرة في المنطقة. أسرع الشياطين إلى الطائرة، وقد أفاق «فهد» و«بو عمير» رغم الآلام الهائلة التي كانا يُحسَّان بها ... وفي دقائقَ قليلة كان «أحمد» قد أعاد الأجزاء المفكوكة من طائرة العصابة؛ فقد وجدها أفضل لأنها مسلَّحة.

وفي الدقائق التالية كانت الطائرة قد صَعِدَت إلى فوق ... يقودها «أحمد»، بمساعدة «زبيدة»، واتجهَت الطائرة إلى الميناء الذي كانت تقف فيه الغوَّاصة، ودار «أحمد» عدة دوراتٍ يبحث عن الغوَّاصة الصغيرة ... ولكنها كانت قد اختفت تحت المياه.

قالت «إلهام»: من الخطأ أن نعود مرةً أخرى إلى جزيرة «سيورد» ... إنهم سوف يبحثون هنا وهناك، وسيُوقِعون بنا أشد العقاب؛ فقد نسفنا لهم مقرهم ومعملهم.

أحمد: أوافقك على ذلك ... وسوف نتجه إلى الولايات المتحدة فهي أقرب مكانٍ لنا ... سننزل في مدينة «سياتل»، ونتصل برقم «صفر» ... إن معنا مجموعةً رائعة من الوثائق سنكشف بها خطط «سادة العالم» ... وقد نعرف عنهم ما لم نعرفه من قبلُ.

وإلى اللقاء في المعركة القادمة.

هنـــداوي